

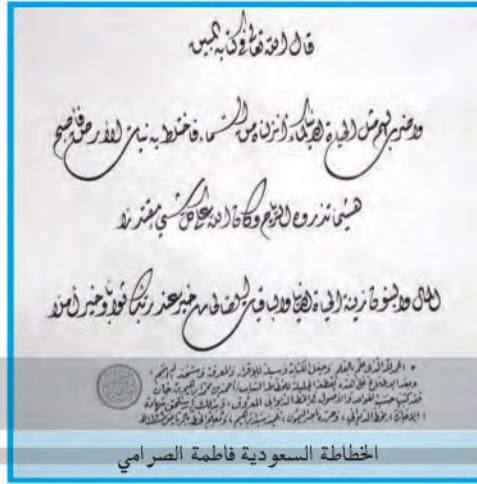


الزخرفة الكتابية آفاق عربية

الموضوع

عرفنا أن الزخرفة هي كل رسم يُعمل به على مساحة ما بقصد تزيينها، وقد برع الفنان المسلم في نظم الزخارف بأنواعها، هندسية أو نباتية أو خطية مفردة، وقد تتداخل هذه العناصر لتخرج بتكوينات زخرفية مميزة تكون وحدة زخرفية مترابطة تسمى بفن «التوشيح» أو الرقش وهو ما يسمى بـ «الأرابيسك».

وهو مصطلح زخرفي لمجموعة متكررة تعتمد على الامتزاج بين العنصر النباتي المحور والعنصر الهندسي واستخدام الحروف العربية كذلك - والمزاوجة بينها وبين الأشكال الهندسية والنباتية بأساليب مختلفة، بعد أن أدرك الفنان المسلم أن الخط العربي ليس كبقية الخطوط التقليدية، بل خطأ يحمل رسالة وحضارة أمة، فتفنن في تطوير الخط وحمله الكثير من روحانية الرسالة التي نقلت إليه تحديداً بلغة عربية... فزخرف الفراغات وملئها بهيئات جمالية متناسقة تستريح إليها العين، ومن أشهر الخطوط التي زخرف بها الفنان المسلم، الخط الكوفي، خط الثلث، خط النسخ، خط النستعليق / التعليق (الفارسي)، الخط الديواني، خط الرقعة، خط الطومار، خط الطغراء وخط النسخ الذي يكتب به القرآن الكريم عادة، غالباً لوضوحه وبساطته وشهرته بين الناس. كما يوضح الشكل (٤) أشكال مختلفة من الخطوط العربية.



الشكل (٤)، نماذج زخرفية كتابية متنوعة

نشاط (١)

اللوحات الآتية لنوعين من أشهر الخطوط العربية، اكتب تحت كل لوحة نوع الخط الذي كتبت به اللوحة... الشكل (٥)



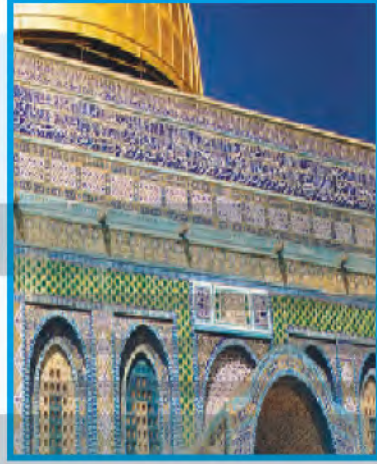
(زخرفة خط.....)

(زخرفة خط... **الثلاث**)

كوفي ايراني

الشكل (٥)، نماذج آيات من القرآن الكريم كتبت بخطوط زخرفية مختلفة

وقد نفذ الفنان المسلم زخارفه الخطية رسماً وحفرأ على جدران المساجد والقصور التي برع في تزيينها كما في الشكل (٦).



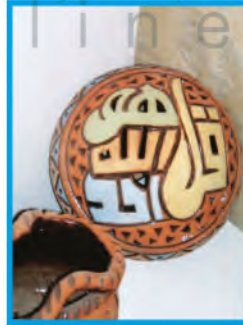
جانب من مسجد قبة الصخرة في القدس المبارك



جانب من المسجد النبوي في المدينة المنورة

الشكل (٦)، نماذج معمارية من التراث الإسلامي بزخارف إسلامية جمعت بين الكتابي والهندسي والنباتي

ثم اتسع استعمال الكتابة بالخط العربي إلى الفنون التشكيلية الأخرى في الخزفة فبرع الخزاف المسلم في تزيين الفخار والخزف... الشكل (٧).



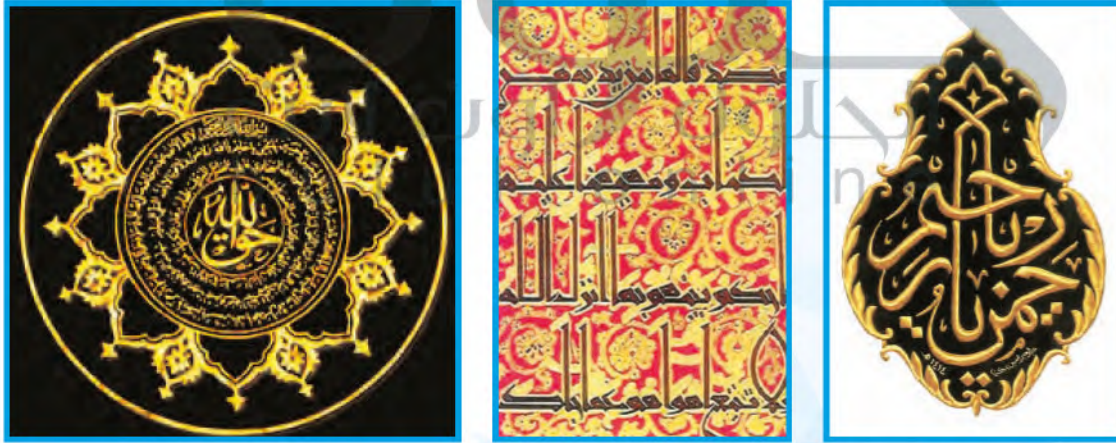
الشكل (٧)، نماذج معمارية من التراث الإسلامي بزخارف إسلامية جمعت بين الكتابي والهندسي والنباتي

وحفر النجار أجمل النقوش والزخارف الكتابية على الخشب.. الشكل (٨).



الشكل (٨)، نماذج خشبية من التراث الإسلامي بزخارف إسلامية جمعت بين الخطي والهندسي والنباتي

كما طرزه الحائك بأسلاك الذهب والفضة وخيوط الحرير على الأنسجة المتنوعة وصممه صناع السجاد أطراً على حواشي البسط والسجاجيد الشكل (٩).



الشكل (٩)، نماذج نسيجية من التراث الإسلامي بزخارف إسلامية جمعت بين الخطي والهندسي والنباتي

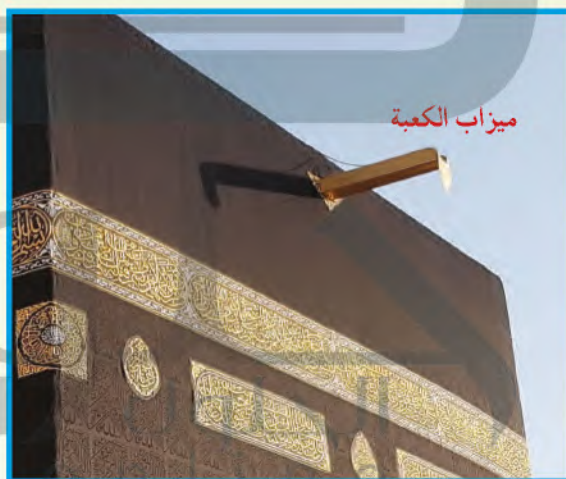
كما ظهرت أبداع النقوش وأجملها على الآنية النحاسية والفضية الشكل (١٠).



الشكل (١٠)، نماذج معدنية من التراث الإسلامي بزخارف إسلامية جمعت بين الخزفة الخطية والهندسية والنباتية

في الشكل (١١) قطعة معدنية ثمينة في قيمتها ومكانتها، فلنتذكر أين شاهدناها؟
ولنسجل البيانات الخاصة بها في الأسفل:

لتصريف الماء
اسم القطعة: **میزاب الكعبة** مكانها **اعلى الكعبة** وظيفتها: أنواع
الزخارف المنقوشة عليها: **زخارف جخية بالخط الكوفي**



الشكل (١١)، صورة لقطعة من المعدن

القيم الزخرفية التشكيلية في الحرف العربي:

يظل الحرف العربي يحمل في مكنوناته الجمالية والتعبيرية بعداً راقياً ومميزاً، وسيظل مصدراً لاستلهام العديد من الفنانين؛ حيث صاغه الفنان المسلم بأشكال متعددة، فلونه تارة واستخدم خاصية التكبير والتصغير في الحجم تارة، وخاصية التقوس، واستدارات الحروف العربية والتحوير فيها تارة أخرى؛ الأمر الذي مكنه من نظم أشكال فنية وجمالية تعطي تنوعاً في الإيقاع والإحساس معاً، ففي التبادل بين الرقة والغلظة في حروف خط النسخ يحدث الإيقاع، وكذلك في تبادل الانحناءات والامتدادات في حروف الخط الفارسي، وتبادل التماثل كما في الخط الديواني، وتبادل إشعاع القوة كما هو في حروف خط الثلث. أما الإحساس به: فالخط المنحني يمثل الرشاقة كما في حروف النسخ والثلث والفارسي. أما الخط الهندسي الكوفي بأنواعه فيشير الجمال الرياضي



الشكل (١٢)، أشهر أنواع الخط العربي

الهندسي، هذه الصفات الكامنة في حروف الخط العربي تسهل التعبير عن الحركة، والكتلة؛ الأمر الذي يحقق إيقاعاً جميلاً وإحساساً بصرياً ونفسياً راقياً، دون أن يخلّ بقواعد وأصول حروف رسم الخط العربي لنلاحظ الشكل (١٢).

مميزات الحرف العربي:

تتميز الحروف العربية عن غيرها من الحروف بأنها قابلة للتشكيل والحركة «الطواعية» وفي نفس الوقت تتماشى على أي صورة كتابية دون أن يؤثر ذلك على جوهرها، ومن هنا يأتي الحسن والجمال للحروف العربية حتى لو تغيرت الأشكال يظل الجوهر ثابتاً، على عكس حروف اللغات الأخرى، فإنها لا تمتلك المرونة والطواعية في التشكيل دونما الإخلال بشكلها الحقيقي؛ بحيث تساعد الزوايا والامتدادات في الخط العربي على توزيع الإضاءة واتجاه البصر في اللوحة لتصبح وحدة متكاملة غير مجزأة الشكل (١٣).



الشكل (١٣)، الحروف العربية
حروف مرنة قابلة للتشكيل الزخرفي

لنلاحظ المرونة والطواعية عند استخدامنا لحرف الواو على سبيل المثال، يمكن كتابة الحرف وتكراره واستخدام التكبير والتصغير وتغيير الحجم والحركة في الحرف، كما يمكننا استخدام الحروف سواء منفصلة أم متصلة كأساس أو موضوع لوحة فنية لها شكل زخرفي، لتكون لدينا تشكيلات زخرفية من الحروف يمكن أن نحولها إلى وحدات زخرفية. لنتابع استخدام اللون والحركة والاختلاف في الحجم للتشكيل بالحرف العربي الشكل (١٤).



الشكل (١٤)، حرف الواو بأسلوب زخرفي

نشاط (٣)

لنتخير حرفاً من حروفنا العربية ولنقم بعمل تشكيلات زخرفية منه على سطح ورقة الكراسة باستخدام التكرار، وبالأسلوب الذي نرغب به. وقد عمل الفنان التشكيلي على الحرف العربي لإنتاج أشكال زخرفية متنوعة. فلنلاحظ الأشكال الآتية. الشكل (١٥).



الشكل (١٥)، نماذج زخرفية مختلفة بالحرف في تشكيلات مختلفة

الزخرفة والقرآن الكريم

اهتم الفنان المسلم بالقرآن الكريم بهدف الحفاظ عليه من الضياع والنسيان واعتنى المسلمون بكتابته بأنواع الخطوط المختلفة، وبرعوا في زخرفة حواشي الصفحات بالزخارف المختلفة، وملئوا بين جمل الكلام بالذهب، ورسوموا بكل الخطوط على الجلود المختلفة والأوراق بالأدراج والرقاع بأصناف المداد وألوانه. الشكل (١٦).



الشكل (١٦)، نماذج مزخرفة من القرآن الكريم



الشكل (١٧)، لوحة (الله نور السماوات والأرض)

وقد شكّل الفنان المسلم آيات من كتاب الله في أشكال جمالية زخرفية حاول فيها توفيق المعنى مع المضمون كوسيلة تعليمية وتعبديّة زين بها المساجد؛ بحيث يراها المصلي كلما ذهب إلى المسجد؛ الأمر الذي يساعد على تعود العين النظر إليها وقراءتها باستمرار وعدم نسيانها. الشكل (١٧).

نشاط (٤)

الشكل (١٨) لمجسم جمالي نحته الفنان في الرخام لنفس الآية السابقة، فلنلاحظ كيف طوع الفنان الحرف العربي، ولنسجل إبداعاتنا على الورق في تصميم لزخرفة كتابية يحتوي إضافات زخرفية هندسية أو نباتية الشكل (١٨).

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ
عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور، الآية، ٣٥]



الشكل (١٨)، الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «مجسم جمالي في مدينة جدة».
للفنان الإسباني خوليو لافونتي Lafuente

القواعد والأسس المستخدمة في الزخرفة:

اعتمد الفنان المسلم على مجموعة من القواعد والأسس التي تساهم في إظهار هذه الزخارف الجمال المقصود ومنحها دلالاتها الخاصة بها، مثل التوازن، التناظر، الشعب، التكرار، التناسب، التشابك. ويعتبر عنصري «التكرار» و«التوازن» أساساً في إظهار جماليات الزخرفة؛ حيث يحدث التكرار والتوازن المتوالي أثراً زخرفياً يضيف على القطعة الفنية جمالاً ويزيدها تألقاً.

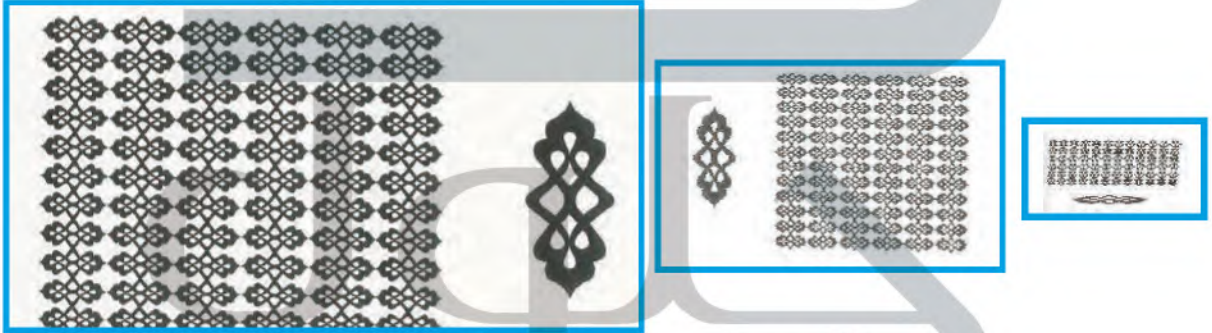
(١) التوازن:

التوازن في الزخرفة يشمل جميع المساحات والسطوح من أشرطة إطارات وحشوات، ويعبر عن التكوين الفني المتكامل بتوزيع العناصر والوحدات توزيعاً يعتمد على تناسق العلاقات بين العناصر والألوان والفراغات المحيطة، أساسي لكل عمل فني بها؛ حيث يعتبر التوازن قاعدة أساسية لا بد من توفرها في كل تكوين زخرفي أو عمل فني تزييني. وعند تأملنا الأعمال الزخرفية الخطية، نلاحظ أن استعمال التكرار والتناظر المحوري جاء كتعبير عن التسبيح الذي يكرره المسلم يومياً أثناء عبادته، كما يؤكد فكرة محورية وهي عبادته سبحانه وتعالى، فالزخرفة الإسلامية لم تكن عشوائية بل كانت منبثقة من أساس عقيدة المسلم وقناعاته التشريعية.

(٢) التكرار:

يعتبر استخدام أسلوب التكرار أبسط القواعد في التكوين الزخرفي؛ لأنه عند تكرار أي عنصر أو وحدة زخرفية نحصل على تكوين زخرفي بديع، وهو ناتج لتعامل الفنان مع

مجموعة من العناصر، قد تكون أشكالاً هندسية أو مجموعات لونية متباينة أو متدرجة وباستخدام أكثر من شكل في بناء صيغ جديدة قائمة على توظيف تلك الأشكال من خلال ترديدات عنصر، أو وحدة زخرفية على نحو متواصل بأساليب متنوعة، وينشأ عن تكرارات لمفردة واحدة أو أكثر يعيد رسمها الفنان مكوناً مساراً بصرياً، تصل معه العين إلى نهاية القطعة. أو ما يطلق عليه الامتداد الزخرفي، مما يعطي التكوين الزخرفي جماليات رائعة الشكل (١٩).



الشكل (١٩)، نموذج لوحدة زخرفية مكررة وممتدة

المزاوجة بين الزخرفة الهندسية والنباتية والكتابية:

الفن الإسلامي الزخرفي فن يعتمد التفكير والتدبر والنظر إلى الأشياء نظرة شمولية تحليلية فهو يحلل الأجزاء، ثم يعيد تركيبها بشكل جديد يختلف عن الشكل الأصلي ظاهرياً، ولكنه يحمل نفس المضمون.

وقد عرف الفنان المسلم أن عقيدته تحته على البعد عن رسم ذوات الأرواح فاستعاض عنها بتكرار الرموز والإشارات الدالة على المعنى من خلال كتابة الخطوط وزخرفتها وتكرارها، كما جرد الأشكال من واقعيتها بهدف الوصول إلى الجوهر في أعماله الفنية الشكل (٢٠).



الشكل (٢٠)، نماذج زخرفية متنوعة

أنماط الزخرفة بالخط العربي:

ينفرد الخط العربي بجماليات أساسية تتحقق كنتيجة للإحساس البصري الناتج من التوزيع الإيقاعي، لإمكانية الزخرفة بأسلوب الخط المنحني الطياش الأسلوب الهندسي واختيار الزخارف المرافقة لهما؛ الأمر الذي يمكن للفنان أن يصوغ الإيقاعات الزخرفية بأساليب فنية جمالية، نتيجة للتضاد بين الأجزاء والألوان، التبادل بين الشكل والأرضية، أنواع التكرار المختلفة وغير ذلك.

أساليب التكرار المتنوعة في التكوين الواحد ومنها:

أسلوب التبادل بين الشكل والأرضية في الزخرفة فلندقق في خلفية اللوحة. الشكل (٢١).



الشكل (٢٢)، توزيع للعناصر الزخرفية الخطية واللونية



الشكل (٢١)، التبادل بين الشكل والأرضية

توزيع للعناصر الزخرفية الخطية واللونية داخل التكوين. الشكل (٢٢).

مفهوم الخط المنحني الطياش:

هو الخط الذي يدور متجولاً في حرية وانطلاق في حدود المساحة المخصصة للزخرفة ولا يخرج عنها ولكنه يعطي إحساساً بالاستمرار إلى ما لا نهاية. ويقف أحياناً وقفة قصيرة عند ارتفاعه ولكن لا يلبث أن يستمر ويشب أحياناً فوق الخطوط أو يمر تحتها أو يتجاوز معها.

لنتابع معاً كيفية كتابة كلمة من حرفين ”ضي“ بشكل زخرفي.



لنلاحظ سماكة كل حرف وتناسقه عند اتصاله بالحرف الذي يليه.





الشكل (٢٣)، الفنان السعودي عصام العسيري

تحقيق أسلوب التبادل اللوني بالتكوين.
الشكل (٢٣).

دور أساليب التكرار في تحرير عناصر التكوين، ثم إبداع أشكال متعددة بها الشكل (٢٤).



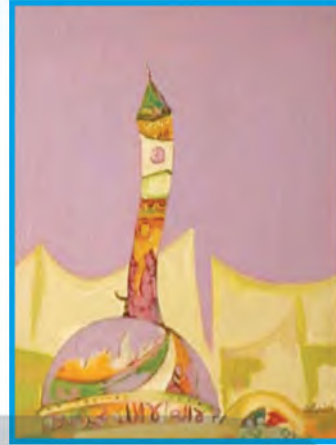
الشكل (٢٤)، أساليب التكرار في تحرير عناصر التكوين

لوحات زخرفية مبتكرة بالخط العربي:

يُمثل العمل الفني الزخرفي باستخدام الخط العربي لحظة تأمل وحوار خاصة مع ارتباط الزخرفة الخطية بآيات القرآن الكريم؛ بحيث يدخل الفنان المسلم في حوار مع مكونات ذلك العمل، ليحقق من خلال أشكال الحروف المرسومة والألوان موضوعه الفني ودلالاته التعبيرية، ليؤسس العلاقة بين المقروء في الخط المزخرف وبين السياقين الجمالي والتقني ليصبح العمل في حالة حركة مستمرة للعين تنتقل بها في جميع أجزاء اللوحة الشكلين (٢٥ - ٢٦).



الشكل (٢٦)، الفنان الفلسطيني أحمد محمود أبو حبل



الشكل (٢٥)، الفنان الفلسطيني توفيق عبد العال

وللتأكيد على المعاني الضمنية التي توجه الفن - كرسالة لبناء الهوية بعد أن اعتبر الفنان كتابته للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة ودمجها بالرموز واستخدام الحرف والكلمة، إطاراً تشكيمياً لإخراج زخرفي أسلوباً معززاً ذلك - بدلالات وعناصر الزخرفة العربية المنبثقة من التاريخ والهوية، مستخدماً اللون والحرف كلغة في التعبير ليدعمه بالرموز والعناصر الحضارية والتراثية الخاصة بأمتة الأشكال (٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢).



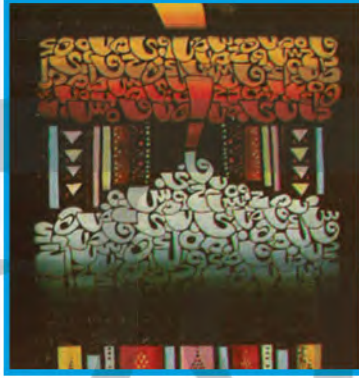
الشكل (٢٨)، الفنانة السعودية نورة الزهراني



الشكل (٢٧)، الفنان السعودي زكي الطيب



الأشكال (٢٩ - ٣٠)، لوحات تشكيلية حروفية للفنان السعودي يوسف إبراهيم



الشكلان (٣١ - ٣٢)، لوحتان زخرفيتان بالحروف العربية للفنان السعودي فايز أبوهريس

تشكيلات كتابية زخرفية مبتكرة:

تظل التجربة الكتابية الزخرفية تحمل في محتواها الكثير من الإمكانيات؛ نظراً للسمات التي يحتويها للحرف العربي من جمالية كبيرة ترتبط بتركيبته الطيبة، وإيحاءاته الروحانية الفريدة، وقد تمكن الفنان من ربط التراث بالأصالة مستخدماً أساليب معاصرة، تتناسب وتتوازن مع الوحدة الزخرفية وتندمج مع معنى الكلمة أو الآية، بهيئتها وألوانها بعد أن شكلها الفنان حتى أصبح كل منهما أي اللون والشكل يغذي العمق التشكيلي.

وقد عمل الفنان المصري محمد طوسون على الحروف من خلال مدرسة البكتوجراف وتعني الخط العربي + الرسم والحرف العربي وتحتوي عناصر التشكيل: اللون، المساحة، الموضوع، جمال الخط العربي. تنظر إلى اللوحة للوهلة الأولى تجدها غاية في الجمال والإبداع وعندما تدقق فيها تجدها كلمة جميلة مكتوبة بشكل إبداعي وبداخلها معنى الكلمة بالرسم والرمز واللون. الأشكال (٣٣ - ٣٤ - ٣٥).



الشكل (٣٤)، الله نور السماوات والأرض للفنان محمد طوسون



الشكل (٣٣)، الفنانة السعودية نورة الزهراني



الشكل (٣٥)، سبحان الله للفنان محمد طوسون

نشاط (٥)

تأمل الأشكال (٣٦، ٣٧، ٣٩، ٣٨، ٤٠) وتحدث عن القيم الفنية والجمالية في الأعمال الفنية:

(أ) الفكرة والتصميم.

(ب) أسلوب الدمج.

(ج) التوزيع اللوني.

(د) التوازن في مواقع الأشكال.

(هـ) أسلوب التكرار للكلمة أو الحرف في اللوحة.

فكرة التصميم	أسلوب الدمج	التوزيع اللوني	التوازن في مواقع الأشكال	أسلوب التكرار
شكل (١) أشكال مرنة عشوائية	الخطوط مندمجة ببعضها ببراعة	الألوان متبادلة بين الأبيض والأسود	التوازن جاء من توزيع اللون الأسود مع الأبيض	تبادل لوني
شكل (٢) تضارب الأمواج	برع الفنان في دمج الخط في التعبير عن حركة الأمواج	تدرج الألوان موزع باتزان	التوازن بين طرفي اللوحة بالألوان والحروف	عشوائي
شكل (٣) تلاعب أشعة الضوء مع حركة الشلال	عبر عن تدفق الشلال وعن أشعة الضوء مع الماء	التوزيع هنا باللون الأصفر الجذاب في منتصف اللوحة جانبه الأبيض أضعف قليلاً على أرضية من الزخارف الغامقة	توجد بؤرة ضوء وحولها تدور الأشكال	عشوائي

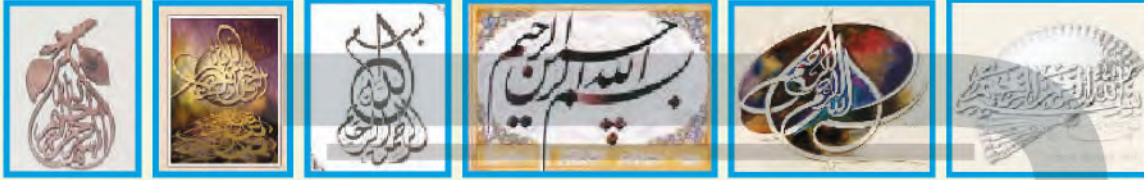


الشكل (٤٠)، الفنانة السعودية لولوة الحمود



الشكل (٣٩)، لوحة الفنان السعودي خالد الصوينع

لنلاحظ الأساليب الزخرفية في المجموعات الآتية ونقوم بتحويل كتابتها إلى وحدة زخرفية كتابية ومن ثم تكرارها بإحدى أساليب التكرار الزخرفية.



الشكل (٤١)، نماذج كتابية زخرفية مختلفة للبسملة.

الأشكال الآتية (٤٢-٤٣-٤٤) نماذج زخرفية كتابية مختلفة للبسملة، يمكننا انتقاء أحد الأساليب المنفذة وتصميم وحدة زخرفية كتابية مبتكرة لعبارة: «إلا أنت يا رسول الله» اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الشكل (٤٤)، نموذج
(بسم الله الرحمن الرحيم)



الشكل (٤٣)، نموذج
(بسم الله الرحمن الرحيم)



الشكل (٤٢)، نموذج
(بسم الله الرحمن الرحيم)

نشاط (٧)

أي من الأشكال الآتية يمكن استخدامه كخلفيات لزخارف كتابية مبتكرة، ولماذا؟



الشكل (٤٧)



الشكل (٤٦)



الشكل (٤٥)

خلفيات مقترحة للعمل عليها أو أجزاء منها.